



إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ رُؤْسَنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَنْ يَهْدِي اللَّهُ فَلَا مُضَلٌّ لَّهُ وَمَنْ يُضَلِّ فَلَا هَادِي لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدَ اللَّهِ وَرَسُولَهُ ، أَرْسَلَهُ بِالْهَدَى وَدِينِ

الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ، (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (102))

وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَإِذَا ذَكَرُوا نِعْمَاتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءَ فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَاصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا

وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَافِ حُكْمِهِ مِنَ النَّارِ فَأَنْفَقْتُمُ مِنْهَا كَذِلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهَتَّدُونَ (103) وَلَئِنْ كُنْتُمْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ

وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَا عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (104) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَأَخْتَلُفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ

الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (105) [آل عمران] ، أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ ، وَخَيْرُ الْهَدِيِّ هَدِيُّ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مَحَدَّثَاتُهَا ، وَكُلُّ مَحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ ،

وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالٌ ، وَكُلُّ ضَلَالٌ فِي النَّارِ ، وَبَعْدُ : فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مَا وَصَّى عِبَادَهُ بِوَصِيَّةٍ بَعْدِ الْإِسْلَامِ وَاجْتِنَابِ الشَّرِكَ

أَكْثَرُ مَا وَصَّاهُمْ بِالاعْتِصَامِ بِحَبْلِهِ وَالْتَّزَامِ الْجَمَاعَةِ ، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "الْجَمَاعَةُ رَحْمَةٌ وَالْفَرَقَةُ

عَذَابٌ" (رَوَاهُ أَحْمَدُ وَحَسَنُهُ الْأَلْبَانِيُّ) ، وَهَذَا يَخْتَصِرُ مَا لِلْجَمَاعَةِ مِنْ مَحَاسِنٍ وَمَا لِلْفَرَقَةِ مِنْ

أَوْلًا: أَهْمَى الْجَمَاعَةِ :

خلق الله عز وجل الناس وفطernهم على الاجتماع ، فالإنسان كائن اجتماعي بالطبع لا يستطيع العيش منفرداً لعجزه عن تلبية كل احتياجاته ، و ذلك لضعفه بالأصل ، قال تعالى **﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخْفِقَ عَنْكُمْ وَخُلُقُ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾** [النساء:28] ، فبالعقل ندرك ما للجماعة من أهمية لحياة الإنسان و استمراره ، قد عرض الحكماء والمفكرون على مر التاريخ هذا الأمر في أبحاثهم و مقالاتهم و منهم ابن خلدون الذي أجاد في هذا الباب ، و الواقع يشهد على ما بناه الاجتماع و الاتفاق و ما هدمه التفرق و الاختلاف و لنا في الأمم السابقة و في أمتنا عبر ، حتى أن أرباب الباطل وأعداء الحق تنبهوا لأهمية الاجتماع ووحدة الصف ودعوا أعدائهم إليه ، ولقد أخبرنا الله تعالى بنجوى فرعون و قومه **﴿فَأَجَمَعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ اتَّقَوْا صَفَّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى﴾** [ طه:64 ] ، و يغنينا النقل لأنه دلنا على كمال العقل و ما خلقنا له و ما نحتاج ، و إنما نذكر هنا اجتماع المسلمين و وحدتهم كامة ، **فَلَقَدْ ذَكَرَ الْإِجْتِمَاعَ وَوْحَدَةَ الْكَلْمَةِ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنْنَةِ وَحَضَنَ الشَّرْعِ عَلَيْهِ وَنَهَى عَنِ الْفَرْقَةِ وَالْإِخْلَافِ** في مواطن كثيرة نذكر أهمها :

في القرآن الكريم:

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا } ، { الْمُؤْمِنُونَ } ، في كل عبارات الخطاب و الخبر الالهي التي تجعل المؤمنين أمة من دون الناس ، و معلوم أن الله عز وجل لم يخاطب مؤمناً فرداً إنما خاطب المؤمنين جماعة في كتابه و ما أوحى إلى رسوله صل الله عليه وسلم .

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السَّلَمِ كَافَةً وَلَا تَتَبَعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ } [البقرة:208].  
{ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَنَرَّقُوا } [آل عمران:103].

{ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَرَكُوا وَأَخْلَقُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأَوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ } [آل عمران:105].  
{ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَبَعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَنَاعُوكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ } [الأنعام:153].  
{ إِنَّ الَّذِينَ فَرَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شَيْعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أُمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ } [الأنعام:159].  
{ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفَشِّلُوا وَتَنْهَبُوا رِحْكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ } [الأنفال:46].  
{ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ } [الأنبياء:92] ، { وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ } [المؤمنون:53].  
{ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ } (31) مِنَ الَّذِينَ فَرَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شَيْعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدِيهِمْ فَرَحُونَ (32) } [الروم].  
{ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ } [الشورى:13].  
{ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخْوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ } [الحجرات:10].

في السنة المطهرة :

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن الله يرضى لكم ثلاثة، ويكره لكم ثلاثة، فيرضى لكم: أن تعبدوه، ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جمِيعاً ولا تفرقوا، ويكره لكم: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال " (مسلم 1715).

عن الحارث الأشعري، أنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَمْرَ يَحْبِي بْنَ زَكَرِيَا عَلَيْهِمَا السَّلَامُ بِخَمْسٍ كَلِمَاتٍ ، أَنْ يَعْمَلَ بِهِنَّ ، وَأَنْ يَأْمُرَ بِنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهِنَّ..... " قَالَ : فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " وَأَنَا أَمْرُكُمْ بِخَمْسِ اللَّهِ أَمْرَنِي بِهِنَّ : بِالْجَمَاعَةِ ، وَالسَّمْعِ ، وَالطَّاعَةِ ، وَالْهِجْرَةِ ، وَالْجَهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، فَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ مِنَ الْجَمَاعَةِ قِبَدْ شَبِرٍ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ عُنْقِهِ إِلَّا أَنْ يَرْجِعَ ، وَمَنْ دَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ ، فَهُوَ مِنْ جُنَاحِ جَهَنَّمَ " ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَإِنْ صَامَ ، وَإِنْ صَلَّى ؟ قَالَ : " وَإِنْ صَامَ ، وَإِنْ صَلَّى ، وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ ، فَادْعُوا الْمُسْلِمِينَ بِأَسْمَائِهِمْ بِمَا سَمَّاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْمُسْلِمِينَ الْمُؤْمِنِينَ عِبَادَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ " (مسند أحمد 17170 صحة الألباني).

عن عمر بن الخطاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد من أراد بحبوحة الجنة فيلزم الجماعة" رواه الترمذى 2165 وصححه الألبانى .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاغِيَةِ ، وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ ، فَمَاتَ ، فَمَيِّتُهُ جَاهِلِيَّةٌ ، وَمَنْ خَرَجَ مِنْ أُمَّتِي يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا ، لَا يَتَحَشَّى مِنْ مُؤْمِنِهَا ، وَلَا يَنِي لِذِي عَهْدِهَا ، فَلَيْسَ مِنْ أُمَّتِي ، وَمَنْ قُتِلَ تَحْتَ رَأْيَةِ عَمِيَّةٍ ، يَدْعُو لِلْعَصَبَةِ ، أَوْ يَغْضَبُ لِلْعَصَبَةِ ، أَوْ يُقَاتِلُ لِلْعَصَبَةِ ، فَقَتْلُهُ جَاهِلِيَّةٌ" . (رواه مسلم 1848 وأحمد 10333).

عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "إِنَّ اللَّهَ لَا يَجْمِعُ أُمَّتِي أَوْ قَالَ أُمَّةُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى ضَلَالِهِ ، وَيَدُ اللَّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ وَمَنْ شَدَّ شَدَّةً إِلَى النَّارِ" (رواه الترمذى 2167 وصححه الألبانى)

عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِسَرِيَّةِ بَعْثَتِهِ : "أَذَهَبْتُمْ مِنْ عِنْدِي جَمِيعًا وَجِئْتُمْ مُتَفَرِّقِينَ ، إِنَّمَا أَهْلُكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الْفُرْقَةُ" (مسند أحمد 1539).

عن عرفجة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إِنَّهُ سُتُّونَ هَنَّاتٍ وَهَنَّاتٍ، فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُفْرِقَ أَمْرَهُ هَذِهِ الْأَمْمَةِ وَهِيَ جَمِيعٌ، فَاضْرِبُوهُ بِالسِّيفِ كَائِنًا مِنْ كَانِ" (رواه مسلم 1852).

عن جابر بن عبد الله قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة، فكَسَعَ رجل من المهاجرين رجالاً من الأنصار، فقال الأنصاري: يا للأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما بال دعوى الجاهلية؟" قالوا: يا رسول الله كَسَعَ رجل من المهاجرين رجالاً من الأنصار، فقال: "دعوها، فإنها مُنْتَهَى" (البخاري 4905 مسلم 2584).

عَنْ أَبِي عَامِرٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ لُحَيَّ قَالَ : حَجَجْنَا مَعَ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ ، فَلَمَّا قَدِمْنَا مَكَّةَ قَامَ حِينَ صَلَّى صَلَاتَةَ الظَّهَرِ ، فَقَالَ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : "إِنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ إِذَا فَتَرَقُوا فِي دِينِهِمْ عَلَى ثَنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً ، وَإِنَّ هَذِهِ الْأَمْمَةَ سَتَفَرَّقُ عَلَى ثَلَاثَ وَسَبْعِينَ مِلَّةً" - يَعْنِي : الْأَهْوَاءَ - كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً ، وَهِيَ الْجَمَاعَةُ ، وَإِنَّهُ سَيَخْرُجُ فِي أُمَّتِي أَقْوَامٌ تَجَارَى بِهِمْ تِلْكُ الْأَهْوَاءُ كَمَا يَتَجَارَى الْكَلْبُ بِصَاحِبِهِ ، لَا يَبْقَى مِنْهُ عِرْقٌ وَلَا مَفْصِلٌ إِلَّا دَخَلَهُ" وَاللَّهُ يَا مَعْشَرَ الْعَرَبِ لَئِنْ لَمْ تَقُومُوا بِمَا جَاءَ بِهِ نَبِيُّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لَغَيْرِكُمْ مِنَ النَّاسِ أَحْرَى أَنْ لَا يَقُومَ بِهِ" . (رواه أحمد ، قال الألبانى حسن صحيح)

في أقوال وأفعال السلف:

مسارعة الصحابة الكرام إلى الاجتماع على إمام فور وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ، وحروب الردة التي أصر عليها أبو بكر رضي الله عنه لحفظ رأس مال الإسلام وتوحيد كلمة المسلمين على كلمة التوحيد .

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : "الجماعة ما وافق الحق ولو كنت وحدك" (إعلام الموقعين لابن القيم 397/3) و قال : "يا أيها الناس عليكم بالطاعة و الجماعة فإنهما حبل الله الذي أمر به ، و إنما تكرهون في الجماعة خير مما تحبون في الفرقة" (المعجم الكبير للطبراني 8972)

ما فعله الحسن بن علي بالتنازل لمعاوية رضي الله عنهم أجمعين لتوحيد المسلمين و جمعهم على إمام واحد ، وقد قال عنه النبي صلى الله عليه وسلم : "إِنَّ أَبْنَى هَذَا سِيدٍ ، وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَصْلِحَ بَيْنَ فَتَيَّنِ عَظِيمَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِيْنِ" (البخاري 2704)

، وهذا الأمر لا يقدم على فعله إلا من وفقه الله من أولي الإخلاص و العزم من الرجال .

فقهاء المذاهب الأربعة في عدم تعصبهم لمذاهبيهم ، قال أبو حنيفة : "ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم فعلى الرأس و العين" ، وقال مالك : "ما من أحد إلا و يؤخذ من قوله ويرد إلا صاحب هذا القبر" و أشار بيده إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال الشافعى : "إِنَّمَا صَحَّ الْحَدِيثُ فَهُوَ مَذَهَبِي" ، وقال أحمد : "لَا تَقْلِدْنِي ، وَلَا تَقْلِدْ مَالِكًا ، وَلَا الشَّافِعِي ، وَلَا الأَوْزَاعِي ، وَلَا الثَّوْرِي ، وَلَا مَنْ حَيَثُ أَخْذُوا" ، وغيرهم كثير من العلماء و الفقهاء .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمة الله : "وَالْخَيْرُ كُلُّ الْخَيْرِ فِي اتِّبَاعِ السَّلْفِ الصَّالِحِ وَالْاَسْتَكَثَارِ مِنْ مَعْرِفَةِ حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَالْتَّفَقَهُ فِيهِ ، وَالاعْتِصَامُ بِحَبْلِ اللَّهِ ، وَمَلَازِمَةُ مَا يَدْعُونَ إِلَى الْجَمَاعَةِ وَالْأَلْفَةِ ، وَمَجَانِبَةُ مَا يَدْعُونَ إِلَى

الخلاف والفرقة ، إلا أن يكون أمراً بينا قد أمر الله ورسوله فيه بأمر من المجانبة فعلى الرأس والعين " (مجموع الفتاوى 505/6) .

قادة و أمراء مسلمون صاروا مضرب المثل في السعي لتوحيد المسلمين و اجتماعهم ، كنور الدين محمود زنكي و صلاح الدين الأيوبي و محمد الفاتح و غيرهم ، وقد حققوا انتصارات و عزا و مكانة للأمة في ساعة عسرتها ، فكان عملهم نموذجاً يحتذى .

### ثانياً: حكم وحدة المسلمين :

إن وحدة المسلمين و التزام الجماعة من أهم فروض الدين على الإطلاق ، و يأتي بعد توحيد الله عز وجل لأهميته ، و هذا يظهر من خلال الأدلة السابقة من الكتاب و السنة و غيرها ، و التي تدرج كلها تحت الأمر بالاعتصام بحبل الله جميعاً و النهي عن التفرق ، و لهذا وضع العلماء التزام الجماعة في كتب و أبحاث العقيدة لما فيه من ضرورة لحياة الأمة و هويتها ، وهو شرع الله الذي وصانا به بعد الأنبياء و المرسلين و خص أولي العزم منهم { أَنْ أَفِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَرَكُّفُوا فِيهِ } [الشورى:13] .

و هذا الفرض ترتبط به فروض أخرى تقوم بها الجماعة ، أهمها الصلاة و الزكاة و الصوم و الحج و الجهاد في سبيل الله ، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : " وَهَذَا الْأَصْلُ الْعَظِيمُ : وَهُوَ الْاعْتِصَامُ بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَأَنْ لَا يَتَفَرَّقَ هُوَ مِنْ أَعْظَمِ أُصُولِ الْإِسْلَامِ وَمِمَّا عَظَمْتُ وَصَيَّبَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ فِي كِتَابِهِ . وَمِمَّا عَظَمْتُ ذَمَّهُ لِمَنْ تَرَكَهُ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَغَيْرِهِمْ وَمِمَّا عَظَمْتُ بِهِ وَصَيَّبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَوَاطِنِ عَامَّةٍ وَخَاصَّةً" (مجموع الفتاوى 359/22).

حتى أنه لأهمية القيام بهذا الفرض ترك فروض أخرى عند تعارضها معه ، مثل الاعتراض على بعض المخالفات و المطالبة ببعض الحقوق ، و الدليل قول النبي صلى الله عليه وسلم : " من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر عليه فإنه من فارق الجماعة شبراً فمات ، إلا مات ميتة جاهلية" (البخاري 7054) ، و ذلك ضمن حدود و ضوابط شرعية محددة ، فعن عبادة بن الصامت قال : دعانا النبي صلى الله عليه وسلم فبأيعناه ، فقال فيما أخذ علينا: " أَنْ بَاعْنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ ، فِي مَنْشَطَنَا وَمَكْرَهَنَا ، وَعَسْرَنَا وَأَثْرَهَا عَلَيْنَا ، وَأَنْ لَا نَنْازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ ، إِلَّا أَنْ تَرَوُا كُفَّارًا بِوَاحِدًا ، عِنْدَكُمْ مِنَ اللَّهِ فِيهِ بَرْهَانٌ" ( البخاري 7056) ، فيترك منازعة ولاة الأمر أمرهم لأن فيه مفسدة عظيمة وهي تفريق الجماعة ، هذا ما أقاموا الدين فإن أظهروا الكفر البوح وجب منازعتهم و الخروج عليهم ، لأن مفسدة اجتماع الأمة على الكفر البوح أكبر من مفسدة تفرقها . و لا أدل على أهمية هذا الفرض و عظمته من تغليظ عقوبة من يفارق الجماعة أو يدعو إلى التفرق ، قال تعالى { وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَبَيَّنُ غَيْرُ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهُ مَا تَوَلََّ وَتُنْصَلِهُ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا } [النساء:115] ، و قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من خرج من الطاعة ، وفارق الجماعة فمات ، مات ميتة جاهلية" ( مسلم 1848) ، و قال: " من شد شد إلى النار" ( رواه الترمذى 2167 وصححه الألبانى).

و لعظم هذه المعصية أحل دم فاعلها فقد أمر صلى الله عليه وسلم بقتل من يفرق جموع المسلمين كائناً من كان ( رواه مسلم 1852) ، و قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا يحل دم امرئ مسلم ، يشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله ، إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني ، والنفس بالنفس ، والتارك لدينه المفارق للجماعة" ( مسلم 1676) ، و عدها النبي صلى الله عليه وسلم كفراً فقال : " فلا ترجعوا بعدي كفاراً يضر بعضاكم رقاب بعض" ( البخاري 1741) ، وهو كفر أصغر غير مخرج من الملة ، نعوذ بالله من الضلال بعد الهوى و من الكفر بعد الإيمان .

### ثالثاً: على ماذا نجتمع ؟ ( توحيد الكلمة على كلمة التوحيد ) :

قال تعالى { وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَتَرَكُّفُوا } [آل عمران:103] ، فالاجتماع ووحدة الكلمة إنما يكون بالاعتصام بحبل الحق الواحد ، وهو شرع الله الذي أنزل به كتابه وأرسل به نبيه ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن هذا القرآن سبب

طرفه بيد الله، وطرفه بآيديكم، فتمسكوا به فإنكم لن تضلوا، ولن تهلكوا بعده أبداً (ابن حبان 122 صحة الألباني) ، والاجتماع إنما يكون على الغاية الأسمى التي خلقنا من أجلها وهي عبادة الله وحده لا شريك له ، وهو ما كلفنا بالجهاد من أجله ، أن يكون الدين كله لله ، وأن تكون كلمة الله هي العليا ، و لتحقيق الغاية لابد من وسائل و أهمها الاجتماع ووحدة الكلمة ، فإذا عارضت الوسيلة الغاية قدمت الغاية و أخرى الوسيلة ، و هذا ما أمر الله عز وجل و قام به المرسلون و أتباعهم ، فلقد رفض النبي صلى الله عليه وسلم ان يداهن كفار قريش و يقرهم على بعض باطلهم ، رغم أنهم وعدوه أن يجتمعوا على بعض الحق الذي جاء به ، قال تعالى **وَدُّوا لَوْ تُنْهِنُ فَيُدْهِنُونَ** [القلم 9] ، وأنكر هارون عليه السلام على قومه عبادتهم للعجل رغم قلة عدد الذين ثبتوها معه ، قال تعالى مخبراً بقوله **{ قَالَ أَبْنَ أُمٍّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونِي }** [الأعراف 150] ، فلا يسع أهل الحق التنازل عن بعضه لتحقيق الوحدة و إلا لما بقوا على الحق و لما ألغت عنهم كثريهم على الباطل ، قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : " الجماعة ما وافق الحق ولو كنت وحدك " (إعلام الموقعين لابن القيم 397/3) ، و لا قيمة للجتماع على غير الكتاب و السنة ، و للنصر و التمكين تكون العبرة بالكيف لا بالكم ، قال تعالى **{ وَنَادَى أَصْحَابَ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُوهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمِيعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ }** [الأعراف 48] ، و قال تعالى **{ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ }** [الأنفال 65] ، فلا يجوز التهاون في أصول الدين التي تدور حول كلمة التوحيد لتحقيق مكاسب آنية زائلة ، ولا يحتج لذلك بحجة ، ففي الدين ثوابت لا تتغير و فيه متغيرات و رخص حسب الظروف و المصلحة ، فالاعتصام إنما يكون بالثوابت و إعمال السياسة المنضبطة بضوابط الشرع في المتغيرات و الرخص و كل ذلك من الشرع و فيه خير الأمة ، و لا يدل على هذا أكثر من حديث النبي صلى الله عليه وسلم **قَالَ: لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ, لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَلَّهُمْ, حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذِلِكَ** (مسلم 1920) . ثم إذا حدث تنازع في شيء صغير أم كبير نرده إلى الله و الرسول أي إلى الحبل الذي أمرنا بالاعتصام به الكتاب و السنة ، قال تعالى **{ فَإِنْ تَنَازَعُوا فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ }** [النساء 59] . فيستنبط الحكم و الحل أولوا العلم منا ، قال تعالى **{ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأُمْرِ مِنْهُمْ لَعِلْمَهُ الَّذِينَ يَسْتَبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَتَبَعَّدُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا قَلِيلًا }** [النساء 83] .

#### رابعاً: أسباب الفرق و الاختلاف :

**مخالفة شرع الله عز وجل :** وهو السبب الأساس الذي تبع منه بقية الأسباب ، فلقد حذرنا الله من الاختلاف و بين لنا أسبابه و عواقبه في كتابه و سنة نبيه صلى الله عليه و سلم ، و بما حبه الذي أمرنا أن نعتصم به ، و جلي أن مخالفه ما يجمع يسبب التفرق و التنازع ، كما أن مخالفه أمر الله و تركه عقوبته العداوة و البغضاء بين المخالفين كما قال تعالى **{ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخْذَنَا مِثَاقُهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِرُوا بِهِ فَأَغْرَبَنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبَّهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ }** [سورة المائدة 14] .

تفاوت الناس في العقول و الطباع والميول ، و تفاوتهم بالعلم و القدرة على الفهم ، و اختلافهم في الهدى والضلال ، قال تعالى **{ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَرَوْنَ مُخْتَلِفِينَ }** (118) **{ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلَذِلِكَ خَلَقُهُمْ وَتَمَّتْ كَلْمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ }** (119) [هود] ، مختلفين : أي في الهدى ، إلا من رحم ربك : أي أهل الجماعة ، ولذلك خلقهم : قال بعض المفسرين للرحمه ، وقال آخرون للاختلاف (راجع تفسير بن كثير) .

الاختلاف في تحديد الأصول المتفق عليها و الفروع التي يسع الاختلاف فيها ، و الثوابت و المتغيرات ، و كل ذلك سببه الجهل بأحكام الشريعة و مقاصدها ، و عدم فهم المسائل - خاصة العقدية منها - فهما صحيحا و شاملا، و ذكر منها الولاء و البراء و التكبير وضوابطه ، أضف إلى ذلك الاختلاف حول العمل بالسياسة الشرعية .

الإعجاب بالرأي و اتباع الهوى وترك الهدى و بطر الحق و تسيفه الناس و إن كانوا مصيبيين ، قال تعالى **{ أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيْنَةٍ }**

منْ رَبِّهِ كَمَنْ زُبَّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءِهِمْ} [محمد:14] ، واتباع الهوى و الإعراض عن الحق يورث المرأة والجدل الذي يذكر نار التفرق و التنازع ، ومن صفة هؤلاء اتباع المتشابه من الآيات وترك المحكم الواضح البين ، قال تعالى {فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَبَّعَ فَيَتَبَعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ} [آل عمران: 7].

الأثرة و حب الرياسة و الزعامة و عدم التنازل للغير و إن كان الأفضل ، و ذلك من الركون إلى الدنيا و زينتها ، وقد يكون من العصبية الجاهلية و تغليب مصلحة فئة أو طائفة أو شخص على مصلحة الأمة . قال تعالى واصفا حظ النفس و حب الدنيا و أثره في التنازع و الفشل {وَلَقَدْ صَدَقُكُمُ اللَّهُ وَعَدُهُ إِذْ تَحْسُنُوهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّىٰ إِذَا فَشَلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ} [آل عمران: 152].

وساوس شياطين الجن و الإنس - بطانة السوء - و تزييفهم للحق و تزيينهم للباطل و كيدهم للمؤمنين ، قال تعالى {إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوَقِّعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدُّكُمْ عَنِ الصَّلَاةِ فَهُنَّ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ} [المائدة: 91] ، وعن المنافقين الذين يحاولون تفريق الأمة من الداخل قال تعالى {وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفُرًا وَتَفَرِّقُوا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهُدُ إِنَّهُمْ لَكَانَوْنَ} [التوبه: 107] ، وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يعالج بنيان الشر هذا بالهدم .

سوء الظن و الحسد وغيرها من أمراض القلوب التي حذر منها الله في كتابه و سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، فسوء الظن يورث انعدام الثقة بين المسلمين أفرادا و قيادات و يمنع من التعاون على البر و التقوى ، ويبعث الاحباط و التشاؤم في النفوس مما يؤدي إلى التفاسع عن العمل لخدمة الإسلام والمسلمين ، والحسد أخطر فهو نتيجة حب الذات و بغض الآخرين و تمني زوال النعمة عنهم ، فهو خلق هدام يؤدي إلى تفشي الكيد و المكر و التنازع والاختلاف .

البدعة وهي عكس السنة ، و نتيجة اتباع الهوى ، فالسنة واحدة و هي سبيل الاجتماع ، والبدع كثيرة بكثرة الأهواء وهي سبيل التفرق ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أُوصِيكُمْ بِتَقْوَىِ اللَّهِ، وَالسَّمْعُ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ كَانَ عَبْدًا حَبِيشِيًّا، فَإِنَّمَا مَنْ يَعِيشُ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَىٰ اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنْنَتِي وَسُنْنَةِ الْخُلُفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمَهْدِنَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بِدُعْةٍ، وَكُلَّ بِدُعْةٍ ضَلَالٌ". (مسند أحمد: 17275 صححه الألباني) عدم التخلق بأخلاق الخلاف التي كان عليها السلف الصالح ، فقد كان الصحابة الكرام و التابعون يختلفون في مسائل و اجتهادات و لا يؤثر ذلك في مودتهم لبعضهم ، و لا يزرع الغل و الفرقة بينهم لأنهم طلاب حق و ليسوا متبوعي هوى ، و الآثار التي تدل على ذلك كثيرة .

أسباب خارجية تأتي من دسّ أعداء الأمة و كيدهم و زرعهم للفتن و تدميرها لتمزيق الأمة الإسلامية لكي يسهل السيطرة عليها ، ومن هذه الفتن دعوى الحزبية والوطنية والقومية و العلمانية والديمقراطية و غيرها كثير ، يقول "أرنولد تويني" في كتابه الإسلام والغرب والمستقبل: إن الوحدة الإسلامية نائمة، لكن يجب أن نضع في حسابنا أن النائم قد يستيقظ ، ويقول المبشر لورنس براون: يجب أن يبقى العرب والمسلمون متفرقين، ليبقوا بلا قوة ولا تأثير. (الاختلاف في العمل الإسلامي - د.ناصر بن سليمان العمر) ، وهم تبع في ذلك لكافار قبلهم انتهوا مبدأ فرق تسد ، قال تعالى {إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَىٰ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شَيْعَةً يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَحِّجُ أَيْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ} [القصص: 4].

#### خامساً: مفاسد الفرق و الاختلاف :

الضعف والعجز : قال الله تعالى: {وَأَطْبِعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازِعُوا فَتَفْشِلُوا وَتَذَهَّبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} [الأنفال: 46] ، و هذا أمر طبيعي ونتيجة حتمية لأن الاجتماع و الاتفاق سبب من أسباب القوة وهو من الإعداد ، و بغيره يصبح المسلمون طوائف ضعيفة يسهل القضاء عليها كما حدث في بلاد الشام عند الحملات الصليبية و كما حدث في آخر عهد الأندلس و كما هو الحالاليوم .

تسلط أعداء الأمة و استباحتهم لدماء أبنائها وديارهم و مقدراتهم ، و هذا يزيد في ضعف الأمة و تشتتها .

تبعد الطاقات و الجهود و انتزاع البركة ، بسبب تشتت الأفراد و عدم الاستفادة من قدراتهم .

الضلال و الابتعاد عن الحق أو الجهل به ، وذلك نتيجة لرفض كل طرف للآخر و اجتزاء الحق، قال تعالى {فَنَقَطَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبْرَا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَنِيهِمْ فَرِحُونَ} [المؤمنون 53] ، ومن ذلك ما هو عقوبة من الله عز وجل ومثال على ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "خَرَجْتُ لِأَخْبَرُكُمْ بِلِيلَةِ الْقَدْرِ، فَتَلَاحَى فُلَانٌ وَفُلَانٌ، فَرُفِعَتْ" (البخاري 2023). تلاхи فلان وفلان : أي اختلافا فتشاتما .

سفك الدم الحرام ، و قتل الأنفس الملعونة ، و سلب المال الحرام ، و الوقوع في أعراض المسلمين ، و الوقوع في الغيبة و التنميمة و غيرها مما حرم الله عز وجل ، عن ثوبان، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ اللَّهَ زَوِي لِي الْأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيِّلَغُ مَلْكَهَا مَا زَوِي لِي مِنْهَا، وَأَعْطَيْتُ الْكَنْزَيْنِ الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ، وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأَنَّمِّي أَنْ لَا يَهْلِكَهَا بِسَنَةٍ عَامَةً، وَأَنْ لَا يَسْلُطَ عَلَيْهِمْ عُدُوًّا مِنْ سَوْيِ أَنفُسِهِمْ، فَيُسْتَبِّحَ بِيَهُنَّتِهِمْ، وَإِنِّي رَبِّي قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنِّي إِذَا قُضِيَتِ قَضَاءٌ فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ، وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لِأَمْتَكَ أَنْ لَا أَهْلِكُهُمْ بِسَنَةٍ عَامَةً، وَأَنْ لَا يَسْلُطَ عَلَيْهِمْ عُدُوًّا مِنْ سَوْيِ أَنفُسِهِمْ، يُسْتَبِّحَ بِيَهُنَّتِهِمْ، وَلَوْ اجْتَمَعُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَأْقَطَارِهَا – أَوْ قَالَ مِنْ بَيْنِ أَقْطَارِهَا – حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يَهْلِكُ بَعْضًا، وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا" (مسلم 2889) ، نسأل الله العفو و العافية .

غضب الله و عقابه ، و اسوداد وجوه المفترقين يوم القيمة ، قال الله تعالى {يَوْمَ تَبَيَّنُ أُجُورُهُمْ وَتَسْوُدُ أُجُورُهُمْ فَإِنَّمَا الَّذِينَ اسْوَدَتْ أُجُورُهُمْ أَكَفَرُتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ} [آل عمران 106] ، قال ابن عباس رضي الله عنه : تبیض وجوه أهل السنة والجماعة ، وتسود وجوه أهل البدعة والفرقة .

التفرق و الاختلاف نوع من أنواع الكفر ، و العياذ بالله ، وهو كفر دون كفر ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "فلا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض" (البخاري 1741).

هلاك الأمة و العياذ بالله : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الْفُرْقَةُ" (مسند أحمد 1539).

#### سادساً: وسائل الاجتماع و توحيد الكلمة :

طاعة الله ورسوله و تنفيذ الأوامر و الوصايا المتكررة ، {واعتصموا بحبل الله جميعاً و لا تفرقوا} ، { ولا تنازعوا فتفشلوا و تذهب ريحكم } ، {أقيموا الدين و لا تتفرقوا فيه} ، { فأصلحوا بين أخويكم} ، "وأنا أمركم بخمس الله أمرني بهن: بالجَمَاعَةِ ، وَالسَّمْعُ ، وَالطَّاعَةُ ، وَالْهِجْرَةُ ، وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ" ، "عليكم بالجماعة و إياكم و الفرقة" و غيرها كثير .

التمسك بالعقيدة الصحيحة و المنهج الوسط منهج أهل السنة و الجماعة ، لا إفراط و لا تفريط ، فهو الرابط المشترك و حبل الله الذي أمر بالاعتصام به ، وهو الأصل الذي اجتمع عليه خير القرون و إن اختلفوا في بعض الفروع .

الحافظ على شعائر الإسلام التي يجتمع عليها المسلمين والتي تقوى الصلات بينهم ، كصلاة الجمعة ، عن أبي الدرداء قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " ما من ثلاثة في قرية لا يؤذن ولا تقام فيهم الصلاة إلا استحوذ عليهم الشيطان، فعليك بالجماعة، فإن الذئب يأكل القاصية" (مسند أحمد 21710) ، وكذا الزكاة تكافل الأمة، و الصوم الشعور بالضعفاء و لين الجانب و رياضة الأخلاق ، و كذا الحج مؤتمر الأمة ، و الجهاد الذي فيه عز الأمة و النزد عن أبنائها بأبنائها .

توحيد المرجعية الشرعية للجوء إليها عند التوافق و عند التنازع ، قال تعالى {فَإِنْ تَنَازَعُتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُوهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ} [النساء 59] ، و يقيمها بين الناس أهل العلم و الاختصاص و الإخلاص ، قال تعالى {وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخُوفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعِلَّهُمْ يَسْتَبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَأَتَبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا} [النساء 83].

الشوري : و هي أمر الله الذي التزمه نبيه صلى الله عليه وسلم على ما معه من العصمة والوحى ، و ذلك تطبيعاً للنفوس و تعليماً للأمة ، قال تعالى { وَشَاءُرُّهُمْ فِي الْأَمْرِ } ، و مدح الله المؤمنين بالعمل بها قال تعالى { وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ } ، و الشوري من أهم الأمور التي تجمع الناس و تلم الشمل ، فهي التي يجعل القرار مشتركاً يتحمل مسؤوليته أهل الحل و العقد من المسلمين ، و تنزع سوء الظن و تزرع الثقة بينهم ، و تكون شوكة أهل الشوكة معولي الأمر لا ضده .

الالتفاف حول ما يرمز للجماعة و لا تقوم إلا به كإمام والراية ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من أطاعني فقد أطاع الله ، ومن عصاني فقد عصى الله ، ومن يطع الأمير فقد أطاعني ، ومن يعص الأمير فقد عصاني ، وإنما الإمام جنة يقاتل من ورائه ويتقى به ، فإن أمر بتقوى الله وعدل ، فإن له بذلك أجرًا ، وإن قال بغيره فإن عليه منه" (البخاري 2957) ، فلا يستقيم حال المسلمين و لا تجتمع كلمتهم إلا على إمام واحد منهم ، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : " لا بد للناس ؛ من إمارة برة كانت أو فاجرة ، قيل له : هذه البرة عرفناها فما بال الفاجرة ؟ ! قال : يؤمن بها السُّبُلُ و تُقام بها الحدود و يُجاهد بها العدو و يُقسم بها الفيء " (منهاج السنة ، لابن تيمية : 1/146).

الذكير المستمر بأهمية الوحدة و الاجتماع عقلاً و نقاً ، و ذلك يكون بتوجيه العامة و عظمهم في المساجد و غيرها ، و النصح لأولي الأمر و حثهم على توحيد الكلمة و اجتناب الفرق و أسبابها ، و بيان أضرار و مفاسد شق الصف و عقوبة فاعله من أبناء الأمة في الدنيا و الآخرة و يقوم بذلك أساساً العلماء الربانيون و طلبة العلم الشرعي ، و هذا النصح لمرتكب هذه الكبيرة بداية ، ثم تتخذ إجراءات شرعية رادعة له و لغيره من مرتكبي هذا الأمر العظيم .

اجتناب البغي والحسد و ترك الهوى و أمراض القلوب التي ينتج عنها خلافات شخصية لا عقدية ، و كلها منبعها حب الدنيا و الركون إليها ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " فوالله ما الفقر أخشى عليكم ، ولكنني أخشى أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم ، فتنافسوا كما تنافسوا ، و تهلكم كما أهلكتهم " (البخاري 4015) ، نعوذ بالله من ذلك . الإيثار و التنازل للآخر في سبيل توحيد الصف و لم الشمل ، كما فعل الحسن مع معاوية رضي الله عنهم ، فيجب تغليب مصلحة الأمة على حظوظ النفس و أمانها .

تقوية أواصر المحبة و المودة و الاتصال الدائم ، فبذلك لا تنمو الخلافات لأنها تعالج مباشرة بالاتفاق ، و لا يغلب سوء الظن الثقة لأنه يعالج بالعتاب و التلاؤم الدائم ، و لذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا تباغضوا ، ولا تحاسدوا ، ولا تدابروا ، وكونوا عباد الله إخواناً ، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام " (البخاري 6065).

قول الحق في الوقت المناسب و الطريقة المناسبة ، و الابتعاد عن إثارة الأمور الفرعية المختلف فيها إن كانت ستسبيب جدلاً و فرقة ، و هذا يتم بموازنة مصلحة قول الحق و مفسدة الفرق و الاختلاف ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت " (البخاري 6018) ، و لم يقل صلى الله عليه وسلم فليقل حقاً ، و الفرق واضح فإن قول الحق قد يوصل إلى الخير أو إلى غيره ، و قول الخير لا يوصل إلا إلى الخير .

الاعتدال في الحكم على الأشخاص و الأخطاء ، فالعصمة للأنبياء ، و كل ابن آدم خطاء ، و الأخطاء منها الصغير و منها الكبير ، و منها ما هو عن جهة أو قصد ، و منها ما هو عن علم و اجتهاد ، فلا ينبغي على طالب الحق و الداعي إليه أن يغلو في شخص أو رأي فيجعله صواباً و إن كان خطأ ، و لا أن يجفو عن شخص أو رأي فيجعله خطأ و إن كان صواباً ، و إلا لا عتصم كل جاهل بجهة و لأحجم أهل العلم و الاجتهاد ، قال رسول صلى الله عليه وسلم : " إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب ، فله أجران ، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ ، فله أجر " (مسلم 1716).

إنزال الناس منازلهم بتوقير الأكابر و احترامهم و وضع حد للأصغار و التزامهم التواضع ، فخير الأمة و اجتماعها إنما يكون على أهل العلم و الحلم منها ، و ليس على الروبيضات الذين لا يوقرن عالماً و لا يحلمون عن جاهل ، قال ابن القيم - رحمة الله - : " و من له علم بالشرع و الواقع يعلم قطعاً أن الرجل الجليل الذي له في الإسلام قدم صالح و آثار حسنة ، و هو من

الإسلام وأهله بمكان ، قد تكون منه الهفوة والزلة هو فيها معذور ، بل مأجور لاجتهاده ، فلا يجوز أن يتبع فيها ، و لا يجوز أن تهدر مكانته و إمامته و منزلته في قلوب المسلمين" (إعلام الموقعين 3/283).

تدارك الخلاف و رأب صدع الفرقة من قبل أهل الإصلاح ، و ذلك بالحوار و تقريب وجهات النظر ، و السعي على أرض الواقع ، قال تعالى { وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ افْتَنْتُلَا فَأَصْلِحُو بَيْنَهُمَا } [الحجرات:9] ، عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: "ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلوة والصدقة ؟ " قالوا: بلى ، قال: "صلاح ذات البين فإن فساد ذات البين هي الحالة" قال أبو عيسى هذا حديث صحيح وبروى عن النبي صلى الله عليه و سلم " هي الحالة لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين" (الترمذى 2509 صحيح الألبانى).

التصدي لمحاولات أعداء الأمة لتفريقها و تشتيت شملها ، و ذلك بالتصدي لأهل النفاق و الضرار الذين يدسون دسائس الاختلاف و التنازع من الداخل و هدم كل بنيان يبنونه لهذه الغاية ، و التصدي لأعداء الأمة الخارجيين الذين يسعون لإبقاء الأمة في تشتت و ضعف لتسهيل و تستمر سيطرتهم عليها .

#### سابعاً: مصالح و ثمرات الاجتماع و توحيد الكلمة :

القوه و المぬه يتبعها النصر و التمكين ، فالإسلام دين الحق و للحق أعداء لا تقوم قائمة الدين إلا بالتصدي لهم ، ولا يكون ذلك إلا بالوحدة و الاجتماع الذي هو من الإعداد ، و هذا أمر معلوم بالضرورة عقلا و نقا ، و هو ما حرص عليه النبي صلى الله عليه و سلم منذ بداية الدعوة ثم عندما هاجر إلى المدينة حيث آخى بين المهاجرين و الأنصار ، و وضع الوثيقة التي تجعل أهل المدينة يدا على من عادهم ، و قد قال صلى الله عليه و سلم: "إن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه ببعضه و شبك أصابعه . (البخاري 481).

رضا الله عز وجل لامتثال أمره و أمر رسوله صلى الله عليه و سلم ، بالاعتصام و التمسك بحبه ، و هذا يجلب كل خير و يدفع كل شر ، وفيه حياة الأمة و عزها ، قال تعالى { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِبُو لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحِبِّيكُمْ } [الأنفال:24].

الهداية إلى الحق و صراط الله المستقيم بتوفيق من الله عز وجل ، قال تعالى { وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطِ مُسْتَقِيمٍ } [آل عمران:101] ، وبالعمل بالأسباب التي توصل إليه و منها الشورى و التي لا تقوم إلا مع الجماعة ووحدة الكلمة . رحمة الله و نيل فضله و هدايته و محبته ، قال تعالى { فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيَدْخُلُونَ فِي رَحْمَةِ مِنْهُ وَفَضْلِ وَبَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا } [النساء:175] ، و قال تعالى { إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفَّا كَأَنَّهُمْ بُنَيَّانٌ مَرْصُوصٌ } [الصف:4] ، فهذه الرحمة وهذا الفضل والهداية و الحب خاص بأهل الإيمان و الاعتصام قلوا أم كثروا .

معية الله عز وجل و لايته ، و معية المؤمنين ، قال تعالى { فَأَفْقِيمُوا الصَّلَاةَ وَأَنْوَهُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنَعْمَ الْمَوْلَى وَنَعْمَ النَّصِيرُ } [الحج:78] ، و قال تعالى { إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا } [النساء:146] ، وقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: "يد الله مع الجماعة" (الترمذى و ابن حبان ، صحيح الألبانى).

البركة في الجماعة ، وذلك في أمور الخير كلها ، قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: "صَلَادَةُ الْجَمَاعَةِ تَفْضُلُ صَلَادَةِ الْفَذِي بِسْبَعِ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً" (البخاري 645) ، وقال صلى الله عليه و سلم: "البركة في ثلاثة في الجماعة والثريد والسحور" ( رواه الطبراني وصححه الألبانى) ، وقال رجل للنبي صلى الله عليه و سلم: "إِنَّا نَأْكُلُ وَمَا نَشْبُعُ ، قَالَ: "فَلَعَلَّكُمْ تَأْكُلُونَ مُفْتَرِقِينَ ، اجْتَمِعُوا عَلَى طَعَامِكُمْ ، وَانْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ يُبَارِكُ لَكُمْ فِيهِ". (مسند أحمد 16176).

الاستفادة من طاقات أبناء الأمة ووضعها في مكانها المناسب ، فعندما يجتمع أبناء الأمة تحت قيادة واحدة فإنها توزع المهام و تضع كل ذي اختصاص في اختصاصه ، فتتضارف الجهود و يحدث التعاون لتحقيق الأهداف التي تسعى إليها الأمة .

الثقة بين الأمير والمأمور و ينبع عنها الإخلاص ، فباجتماع الأمة على قيادة واحدة لها أمير معروف و مبادع من قبل أهل الحل والعقد ، يضع المسلمون ثقتهم بهذه القيادة التي تعمل لخدمة الأمة أجمع ، لا لخدمة فئة أو طائفة أو شخص ، وبهذا يعطي أبناء الأمة أفضل ما عندهم من عمل و أخلصه لله ، و تستطيع القيادة العمل بثقة و مسؤولية و بسياسة منضبطة بالشرع ولا يكللها سوء الظن و تدخل أكثر من حزب و أكثر من هوى .

كف بأس أبناء الأمة عن بعضهم وتوجيهه ضد أعدائهم ، فباجتماع و تآلف القلوب بإذن الله تكون قوة الأمة و عزتها أمام أعدائها و بتفرقها و تنازعها يكون ضعفها و ذلتها ، والعياذ بالله وهذا حال من غضب الله عليهم من أهل الكتاب ، قال تعالى { لَا يُفَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرْبَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بِأُسُّهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسِبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ } [الحشر 14].

تبكيت شياطين الجن والإنس وأعداء الدين ، فباجتماع الكلمة و رص الصف و التآلف بين المسلمين يكون عزهم وتحقيق أهدافهم ، فلسان الحال يقول لهم ما قال الله تعالى { قُلْ مُؤْمِنُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ } [آل عمران 119].

المصادر: